سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ ﴾

وَالْقَلَمِ: (قسم) بالقلم الذي يكتب به.

وَمَا يَسْطُرُونَ: والذي يكتبون بالقلم.

مَا أَنْتَ: يامحمد ﷺ.

غَيْرَ مَمْنُونٍ: غير مقطوع عنك .

بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ: في أي الفريقين منكم المجنون.

الخلق العظيم هو أن يتعامل الإنسان مع الآخرين بطريقة أسمى من طريقة تعاملهم معه، فهو لا يتبنى أسلوب المعاملة بالمثل؛ بأن يسيء إلى من أساء إليه، ويحسن إلى من أحسن إليه سواء بسواء، بل هو يحسن إلى الكل، حتى ولو كان الآخرون يسيئون إليه ، ولقد كان خلق رسول الله ﷺ من هذا النوع ذاته ، مما يثبت أنه – عليه الصلاة والسلام – كان رجل المبدأ، وأن شخصيته لم تكن وليدة الظروف المحيطة به، وإنما كانت شخصيته نتاج مبادئه العليا ، وكونه متحلياً بهذا الخلق الأسمى يتفق تماماً مع دعواه : أني رسول الله !

وأما القسم بالقلم وما يسطرون فالمقصود منه هو التسجيل التاريخي ، إن القرآن

وشخصية صاحبه - عليه الصلاة والسلام - يحتلان مكانةً استثنائيةً فذةً في كل ما تم تسجيله من الأحداث والذكريات الإنسانية في صورة التاريخ منذ أقدم العصور إلى يوم الناس هذا، وهذا الاستثناء لا يمكن تفسيره إلا بأن ننظر إلى القرآن على أنه كتاب الله وإلى محمدٍ على أنه رسول الله ﷺ.

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾

وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ: أحبوا لو تلاينهم وتصانعهم.

فَيُدْهِنُونَ: فهم يلاينونك ويصانعونك.

حَلاَّفٍ: كثير الحلف في الحق والباطل.

مَّهِينٍ: حقير في الرأي والتمييز أو كذاب.

هَمَّازٍ: عياب أو مغتاب للناس.

مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ: بالسعاية والإفساد بين الناس.

عُتُلٍّ: فاحش لئيم، أو غليظ جاف.

زَنِيمٍ: دعي ملصق بقومه شرير.

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ: أباطيلهم المسطرة في كتبهم.

سَنَسِمُهُ عَلَى الخرطوم: سنلحق به عارا لا يفارقه كالوشم على الأنف.

قوله: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ معناه أن المكذبين ليسوا جديرين بأن يطاعوا البتة ، فهناك – من جهةٍ – حامل لواء الحق الذي يقف على أرضية الدليل، والذي لا يوجد تناقض بين قوله وفعله ، – ومن جهةٍ أخرى – يعارضه قوم لا بضاعة عندهم سوى الأكاذيب والأخلاقيات الهابطة ، ويضع الداعي ثقته كلها في الحق والصدق، بينما يضع معارضوه ثقتهم في أوضاعهم المادية، والداعي إلى الحق ملتزم بالمبدأ، وأما معارضوه فليس نصب أعينهم أية مبادئ يراعونها ، ومن ثم لا يثبت هؤلاء على قولٍ أوْ رأي محدد، فتارةً يقولون كلاماً، وتارةً أخرى يقولون ما يناقضه تماماً ، ومَن رُزق نصيباً من العقل والفطنة يكفيه هذا الفارق وحده لكي يعرف المحق من المبطل !!

﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا
يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ
﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟
وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ
قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن
يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ
لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

بَلَوْنَاهُمْ: امتحنا أهل مكة بالقحط.

الجَنَّةِ: بستان بالقرب من صنعاء.

لَيَصْرِمُنَّهَا: ليقطعن ثمارها بعد الاستواء.

مُصْبِحِينَ: داخلين في وقت الصباح.

وَلاَ يَسْتَثْنُونَ: حصة المساكين مخالفين لأبيهم.

فَطَافَ عَلَيْهَا: أحاط نازلا عليها.

طَائِفٌ: بلاء وعذاب (نار محرقة) .

كَالصَّرِيمِ: كالليل الأسود أو البستان المصروم.

فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ: نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا.

اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ: باكروا مقبلين على ثماركم.

صَارِمِينَ: قاصدين قطعها .

يَتَخَافَتُونَ: يتسارون بالحديث فيما بينهم.

وَغَدَوْا: ساروا غدوة إلى حرثهم.

عَلَى حَرْدٍ: على انفراد عن المساكين.

قَادِرِينَ: على الصرام.

إِنَّا لَضَالُّونَ: الطريق ، وما هذه جنتنا.

أَوْسَطُهُمْ: أحسنهم رأيا وأرجحهم عقلا.

لَوْلا تُسَبِّحُونَ: هلا تستغفرون الله من فعلكم وخبث نيتكم.

يَتَلاوَمُونَ: يلوم بعضهم بعضا على قصدهم.

إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ: طالبون منه الخير والعفو.

إن ما يكسبه المرء في هذه الدنيا يبدو ظاهراً كأنه يأتيه من الحقل أوْ من أي موردٍ آخر، ولكنه في الحقيقة من هبات الله سبحانه، ومَن ينظر إليه على أنه هبة الله، ويخرج منه بالتالي حق العباد الآخرين، يبارك الله في كسبه . أما الذي يعد كسبه نتيجة مؤهلاته الذاتية، ويأبى أداء حقوق الآخرين منه،فلن يغني عنه ما كسب شيئاً،وتلك سنة الله في الأفراد والأمم لا تتخلف أبداً ،وهي قد تنطبق على البعض في الحياة الراهنة ذاتها، وإنها ستفرض نفسها حتماً في الآخرة على كل الناس بدون أي استثناء أو محاباة !!

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

لَمَا تَخَيَّرُونَ: للذي تختارونه لأنفسكم.

لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا: عهود مؤكدة بالأيمان.

لَمَا تَحْكُمُونَ: للذي تحكمون به أنفسكم.

زَعِيمٌ: كفيل بأن يكون لهم ذلك.

إن مَن لا يستشعر بقلبه مخافة الله يعطي الأهمية كلها للأشياء المحسوسة الماثلة بين يديه وحدها، وفي مقابل ذلك فإن الخائف من الله هو الذي يصبح جاداً بالنسبة إلى حقائق الغيب، وهذان دوران متغايران تماماً، وليس من شك في أن مصيرهما عند الله لن يكون سواءً!

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً

أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى
وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ
كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

يُكْشَفُ عَن سَاقٍ: كناية عن شدة هول القيامة.

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ: ذليلة منكسرة.

تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ: يغشاهم ذل وخسران وندامة.

فَذَرْنِي: دعني وخلِّني (تهديد شديد).

سَنَسْتَدْرِجُهُم: سندنيهم من العذاب درجة فدرجة حتى نوقعهم فيه.

وَأُمْلِي لَهُمْ: أمهلهم ليزدادوا إثماً.

في يوم القيامة؛ إذْ يتجلى الحق - سبحانه وتعالى - للعيان، فلن يلبث جميع أهل الإيمان أن يخرّوا أمامه ساجدين تماماً كما خروا له ساجدين في سابق حياتهم، ولن يوفق إلى هذا السجود لله يومئذٍ إلا المؤمنون الصادقون وحدهم، وأما الذين كانوا يتظاهرون بالسجود في الدنيا كذباً ورياءً للناس، فستتصلب ظهورهم ساعتئذٍ مثلما كانت في واقع أمرهم متصلبةً عناداً واستكباراً في الحياة الدنيا، وعبثاً يحاول هؤلاء أن يسجدوا هناك مع الساجدين ولكنهم لا يستطيعون، وإنه لتقدير لأهل الإيمان المخلصين أيما تقديرٍ يوم يتجلى الله سبحانه بنفسه ليتلقى سجودهم له بالقبول، وبالمقابل فإنها ستكون ساعة خزيٍ وهوان لا يوصفان بالنسبة لأدعياء الإيمان الكاذبين، حيث يقفون بحضرة خالقهم ومالكهم، ولا يملكون الإقرار بعبوديتهم له عملياً !!

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ

﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن
تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ
وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

مَّغْرَمٍ: غرامة ذلك الأجر.

مُّثْقَلُونَ: مكلفون حملا ثقيلا.

كَصَاحِبِ الْحُوتِ: يونس عليه السلام.

مَكْظُومٌ: مملوء غيظا في قلبه على قومه.

لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ: لطرح من بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة.

فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ: فاصطفاه بعودة الوحي إليه.

لَيُزْلِقُونَكَ: ليزلون قدمك فيرمونك.

العلاقة بين الداعي والمدعو علاقة جد حساسة ، والداعي مطالب بالتزام حسن السلوك وسمو الخلق من جانبٍ واحدٍ، فمهما فعل المدعو من إثارة الأقاويل السخيفة والشبهات حول الدعوة، ومهما قابل الداعي بالاحتقار والازدراء، ورماه بألوان التهم الكاذبة، ينبغي للداعي، على كل حال، أن يجَنِّب نفسه مشاعر رد الفعل، وسر نجاح الداعي يكمن في شيئين اثنين هما : الصبر على إساءات المدعو، وعدم انتظار أية عوائد أوْ تعويضات مادية من المدعو على إرشاده إلى طريق الرشد والهداية.